

ملامح التجديد الديني في فكر طه عبد الرحمن

Features of religious renewal in the thought of Taha Abdel Rahman

عباز رميساء

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة 2، roumaissa.abbaz@univ-constantine2.dz

تاريخ الاستلام : 2023/11/10 ؛ تاريخ القبول : 2024/09/27 ؛ تاريخ النشر : 2024/11/20

Abstract

المخلص

In light of the development that the West has achieved, the Arab Islamic nation still has not achieved its share of progress, so many thinkers rushed to study the reasons for this decline and look into its causes. This is what made many thinkers striving for the renewal of religion through re-reading and consideration according to modernist methods that are compatible with the requirements of the era, so many renewal studies appeared that differed from one thinker to another according to the starting point and approach that they followed in order to join modernit

في مقابل التطور الذي آل اليه الغرب، لازالت الأمة الإسلامية العربية لم تتل نصيبها من التقدم، فاندفع العديد من المفكرين إلى دراسة أسباب هذا التخلف ومعالجته، فكان للدين نصيب من هذه الدراسة كأحد أسباب هذا التراجع نظرا للانغلاق الفكري التي صنعه التعصب الديني. هذا ما جعل العديد من المفكرين الدعوة إلى تجديد الدين من خلال إعادة القراءة والنظر وفق أساليب حديثة تتوافق مع متطلبات العصر، فظهرت العديد من الدراسات التجديدية تختلف من مفكر الى آخر بحسب المنطلق والمنهج الذي سارو عليه في سبيل الالتحاق بالحداثة.

Keywords: modernity, religious renewal, secularism, religious text.

الكلمات المفتاحية: الحداثة، التجديد الديني، العلمانية، النص الديني.

1. مقدمة:

أدرك المسلمون في القرن الثامن عشر ميلادي، حتمية التحديث داخل العالم الإسلامي، وهي قناعة ترسخت نتيجة الصدمة الحداثية التي تعرض لها المسلمون خلال قدوم "نابليون بونا بارت" إلى مصر سنة 1798م، وخروج البعثات العلمية إلى أوروبا، ومن هذا المنطلق حاول المفكر الإسلامي العربي إيجاد مخرجاً مناسباً لتجاوز تخلفه وانسحاب من هامش التاريخ إلى استعادة مكانته من جديد كحضارة فاعلة.

فتمددت المشاريع الفكرية خاصة في القرن التاسع عشر إلى غاية مطلع القرن الواحد والعشرين، بحثاً في أسباب التخلف التي انعكست على الثقافة العربية الإسلامية فتبلورت فكرة التجديد، وذلك من خلال وضع مناهج أبستمولوجيا تجعلها أكثر مواكبة للعصر.

فكان للدين نصيب من هذا التجديد، لذا وجب اليوم إعادة حلحلة التفكير الديني، وتجديد الآليات المتوارثة لتتوافق مع الحداثة، غير أن المفكرين اختلفوا في طريقة هذا التحديث فمنهم من استند إلى العلمانية -الحداثة الغربية- محمد أركون-ومنهم من رفض ذلك وأقر بضرورة الرجوع إلى الشريعة الإسلامية، واستلهم مقومات الفلسفة الائتمانية - طه عبد الرحمان-.

من منطلق هذا الطرح نسعى الى توضيح البنى التي أسس عليها طه عبد الرحمن مشروعه الحداثي انطلاقاً من التساؤلات التالية:

ما مفهوم طه عبد الرحمن للحداثة؟

ماهي مبادئ تجديد الدين عند طه عبد الرحمن؟

ما لبديل مقدم لتحقيق حداثة إسلامية اصيلة؟

من خلال هذه الفرضيات نهدف الى توضيح المشروع الطهائي في سبيل إحياء الأمة الإسلامية العربية. من أجل مواكبة الحداثة والخروج من التخلف، والجهل الذي هي عليه اليوم، مع المحافظة على المقومات الأساسية التي تخص العالم الإسلامي عن العالم الغربي.

2. الحداثة الغربية في ضوء التجديد الديني:

في سياق هذه التطورات المختلفة التي شاهدها العالم الغربي، أو بعبارة أخرى الحداثة الغربية، أصبحت تعد النموذج الأمثل الذي يرى فيه أغلب مفكري العرب أنه الحل الأنسب، من أجل تحقيق حداثة عربية إسلامية عن طريق التقليد. يعد محمد اركون نموذج للحداثة المقلدة، إلا أن المفكر " طه عبد الرحمن، في تأسيسه للحداثة الإسلامية كان له موقف مخالف حول التبعية والتقليد الغربي. وهذا يجعل من المشروع الطهائي مشروع إبداعي فلسفي حداثي، يحاول من خلاله الخروج من عباءة التبعية والتقليد إلى فضاءات الإبداع والتتوير، عبرى نظرة تجديدية إبداعية، ونظرة تقييمية تكاملية، ونقد منهجي لنموذج الحداثة.

1.2: نقد التبعية والتقليد الغربي:

الحداثة الغربية في نظر طه عبد الرحمن هي نتاج غربي، نما وتطور في الأفطار الأوروبية نتيجة ظروف اجتماعية وسياسية خاصة (الطلابي، 2012، صفحة 38) ، من هذا يتراءى لنا أن تطبيق الحداثة الغربية على العالم العربي الإسلامي ليس صائبا، لأن المجالات الدلالية تختلف، كما أن المفهوم الخاطئ للتحديث الذي أنساق وراءه المفكر العربي المعاصر تحقيقا للحداثة عبر تقليد المنطلق الغربي، دفع طه عبد الرحمن من خلال أعماله المختلفة إلى زعزعة هذا المبدئ القائم على أن العالم الغربي هو صانع الحضارة، وأنه الجدير بالإتباع والأخذ بأسسه، وتطبيقه من أجل تحقيق ما وصلوا إليه من ازدهار.

يرى طه أن الحضارة الغربية انتشرت في جميع أنحاء العالم نتيجة التقدم الهائل في وسائل الإعلام والاتصال الذي فتح لها مجال للتوسع، فأثرت على مختلف الأذهان (الرحمن، دين الحياء من الفقه الائتماري الى الفقه الائتماني، اصول النظر الائتماني، 2017، صفحة 14) ، غير أن رؤيته هذه تقوم على نقد الحداثة الغربية معتبرا أنها ناقصة؛ لأنها مؤسسة على العقل المادي فقط. (موهوب، 2017، صفحة 139) جعلت العقل المجرد أساسا للحداثة؛ لذلك لو تأملناها بنظرة دينية نتوصل إلى أنها لا تتوافق مع الطبيعة الانسانية التي خلق الله عليها عباده، القائمة على الشريعة الإسلامية والأخلاق، وعليه العقل المجرد في غياب التدين كأساس للحداثة غير صائب. (الشيخ، 2016، صفحة 41).

لذا وجب إعادة النظر في هذه الأسس، والتصورات المعرفية، والعلمية التي ابتلى بها الغرب، وصدرها إلى الأمة العربية والإسلامية المعاصرة، فبرزت عنها أزمات قيمية وأخلاقية حادة (بوزيرة، صفحة 248، 249)، فقضت على الجانب الروحي لدى الإنسان وأبعاده الدينية، لأنها تؤمن بالعقل وحده دون الوحي الإلهي، وعليه يوجه طه طرحه النقدي للحادثة الغربية والحادثة الإسلامية القائمة عليه، أو بتعبير آخر المفكر العربي المعاصر الذي يسعى إلى تحديث عربي من خارج التداولية الإسلامية عبر تقليد الحادثة الغربية، فيبرز الانحراف نتيجة الانحلال الخلقي الذي تميزت به، ودعواتها إلى التمسك بالحياة المادية. (النحوي، 2012، صفحة 91) وعليه يدعوا طه الى التخلي عن النموذج الغربي، في سبيل تحقيق حادثة إسلامية ، لأنَّ الحادثة حسب رؤيته ليست واحدة، كما أنها ليست شيء مقدس يطبق على كل المجتمعات، فلكل مجتمع ظروفه وتاريخه ومصيره، فالعالم العربي الإسلامي يتميز بواقع وتاريخ يختلف عن الواقع الغربي، فإذا كانت هناك حادثة غربية نابعة من داخل تاريخ هذا المجتمع، فلما لا تكون هناك حادثة إسلامية من داخل المجتمع العربي والإسلامي، وليس من خارجه (الرحمن، 2006، صفحة 17) ، لأنَّ الحادثة حسب مفهوم طه عبد الرحمن: « من قولنا حدث شيء معناه صيِّره حديثاً أي نقله من الحالة القديمة على الحالة الجديدة، فيكون قول القائل تحديث الفكر الإسلامي. » (الرحمن، 2006، صفحة 154).

يذهب طه عبد الرحمن إلى القول بعدم وجود حادثة عربية، لأن كل ما قام به مفكرو العرب عبارة عن تقليد للحادثة الغربية، فإن ظهرت التكيكية صاروا تفكيكيون، وإن ظهرت البنيوية صاروا بنيويون وهكذا، غير أن المسار التاريخي ليس يختلف بين الغربيون والمسلمون، (الرحمن، 2006، صفحة 104، 105) كما أعاب طه على المفكرين المعاصرين دعوتهم إلى الحادثة دون ممارسة النقد، لأنَّ الحادثة بالنسبة له تقوم على النقد والاستقلال والابداع، لذلك انطلق في مشروعه الفلسفي من نقد التبعية الغربية التي سار عليها اغلب مفكري العرب، وقد برز هذا في فكر محمد اركون، أثناء نقده للعقل الإسلامي باعتماد منهج غربي.

في سبيل تأسيس طه عبد الرحمن لحادثة إسلامية، نابعة من صميم الحضارة العربية الإسلامية (الشيخ، 2016، صفحة 41) انطلق من القراءة الحداثية للدين الإسلامي، وليس من تقليد

النموذج الغربي. فوضع طه خطة من أجل تجديد الديني، انطلق بنقد القراءات الحداثية المقلدة، ووضع البديل الذي يتوافق مع النموذج الإسلامي.

2.2 نقد القراءات الحداثية المقلدة:

إن السياق الذي انطلق منه طه عبد الرحمن في سبيل التجديد، يتمحور في نقد مختلف النماذج التي تسعى إلى مواكبة العالم العربي والإسلامي للحدثة الغربية، وفق خطة مقلدة، زاعمين أن سبب التأخر الحضاري الذي تعاني منه الأمة الإسلامية والعربية، راجع إلى الانغلاق الفكري الناتج عن التعصب الديني حول العقول وحرمانها من العمل والتفكير والتدبر والابداع، متبعين بذلك النموذج الأوربي الذي كسر الحاجز الديني من أجل التطور، هذا ما جعل ثلة من مفكرين العرب من ضمنهم محمد اركون يزعمون أن التنوير في بلاد الإسلامية العربية يبدأ من هدم التراث الديني، ونقده ثم الانتقال الى البناء وفق الآليات التي تقوم عليها المدينة الحديثة فكانت خطة التحديث كالتالي:

أ. خطة التأسيس:

تقديم قراءة عصرية للقرآن، أو كما يطلق عليها خطة الأنسنة تسعى مباشرة إلى رفع صفة القدسية عن القرآن، باعتباره كلام مقدس لا يجوز تغيير فيه أو اعطائه معنى مخالف لما جاء به، (الرحمن، 2006، صفحة 179) يقول اركون: "انه المرجعية المطلقة التي تحدد للناس ما هو الصحيح، وما هو الخطأ، ما هو الحق، وما هو الشرعي، وما هو، القانوني وماهي القيمة." (اركون، 2008)

محمد اركون من خلال هذه الخطة يحاول تفكيك السياجات العقائدية المغلقة، التي وجد العقل الإسلامي مقيدا بها من خلال نزع القداسة عن القرآن فيقول: "ينبغي ان ننظر للقرآن من خلال مقارنته مع كتب المشابهة له في الثقافات الأخرى فالمقارنة هي أساس النظر والفهم." (اركون، 2008، صفحة 18) بهذا الطرح اركون يفتح المجال لتفسير القرآن وفهمه فهما عقليا عبر معطيات العصر.

تسعى هذه الخطة إلى نقل الآيات القرآنية من الوضع إلهي إلى الوضع البشري، ومنه إزالة صفة التعظيم عنه ليتحول من خطاب إلهي إلى خطاب نبوي باعتباره نصا مثله مثل أي نص بشري، وذلك

من أجل اخضاعه إلى التأويل والتصرف فيه وفق ما يتماشى مع روح العصر (الرحمن، 2006،
صفحة 178، 179، 180)

يرى اركون أن أعظم أسباب التخلف لدى المسلمين اليوم هو عودتهم إلى دينهم، ويعتقد أن الدراسات
القرآنية اليوم تعاني من تأخير كبير بالقياس الى الدراسات التوراتية والانجيلية التي ينبغي ان نقارنها
بها دائما.

ب. خطة التعقيل:

أما المنطلق الثاني للحادثة المقلدة هو العقلنة، تعني أن القرآن الكريم ليس غيبي وعلى هذا الأساس
يمكن التعامل مع الآيات بكل وسائل النظر والبحث التي توفرها المنهجيات والنظريات الحديثة، مع
إمكانية انتقاد علوم القرآن وتوظيف المناهج المقررة في علوم الأديان، والفلسفة، واللسانيات المعاصرة
وغيرها، كذلك استخدام النظريات النقدية الفلسفية، وتحقيق سلطة العقل التي ليس لها حدود يقف
عندها. (الرحمن، 2006، صفحة 181، 182)

يقول محمد اركون: "ان القرآن ليس الا نصا من جملة نصوص اخرى تحتوي على نفس مستوى
التعقيد، والمعاني الفوارة الغزيرة كالتوراة والانجيل، والنصوص المؤسسة للبوذية او الهندوسية، وكل
نص تأسيسي من هذه النصوص الكبرى، حظي بتوسعات تاريخية معينة وقد يحظى بتوسعات أخرى
في المستقبل."

كما يقول أيضا: «فادين او الأديان في مجتمع ما هي عبارة عن جذور. ولا ينبغي علينا ان نفرق
بين الأديان الوثنية واديان الوحي." (اركون، العلمنة والدين الاسلام المسيحية الغرب، 1996، صفحة
23)

في نظر طه أن تطبيق مثل هذه المعطيات التعقيلية تؤدي إلى جعل القرآن نص ديني مثله مثل أي
نص ديني آخر، وينتج عنه تغير مفهوم الوحي من المفهوم التقليدي الذي في نظرهم لم يصبح مقبولا
اليوم إلى مفهوم معاصر يسوغه العقل وفق متطلبات المعاصرة. (الرحمن، 2006، صفحة
182، 183)

ج. خطة التأريخ:

تسعى هذه الخطة إلى رفع عائق الحكمية؛ أي إن القرآن لم يأتي بأحكام ثابتة وازلية كما هو معلوم، بل هو موصول بالبيئة والزمن والسياق التاريخي الذي ورد فيه، وينتج عن هذا ابطال المسلمة القائلة بأن القرآن فيه بيان لكل شيء وحصره في الاخلاقيات الباطنية. (الرحمن، روح الحداثة ، 2006، صفحة 184)

يقول اركون: "لهذا السبب أقول لكم بأنه ينبغي علينا ان نتصور الحداثة ضمن مفهوم خطي من التسلسل الزمني والمتدرج لروح البشرية، بمعنى ان من يعيش في عصرنا هو بالضرورة اكثر تقدما وحداثة ممن عاش في العصر السابق...فالحداثة هي مكتسب حديث العهد." (اركون، العلمنة والدين الاسلام المسيحية الغرب، 1996، صفحة 43) ، وهي دعوة صريحة إلى تحديث الدين عن طريق الخروج عن المؤلف أو المقدس الذي في نظرهم هو سبب التخلف والتراجع، ولمواكبة الحداثة يستلزم كسر الحاجز الديني باتباع المناهج الغربية التي رأت الضوء والتطور بعد زعزعة والخروج عن احكام، لكن لطفه عبد الرحمن رأي مخالف لما جاء في هذه الخطط الحداثية التي خرجت عن النمط الديني، فرمق أن التحديث يكون نابع من ثقافة الإسلامية، و ليس بتقليد النموذج الغربي، خاصة أن هناك اختلاف بين نمط الإسلامي، ونمط الغربي، لذا لا يصح أن يطبق منهج واحد على ثقافتين مختلفتين لكل منهما تاريخ خاص به، وكما كانت هناك حداثة غربية ناتجة من صميم الثقافة الغربية، فهناك حداثة إسلامية ناتجة من صميم الثقافة الإسلامية، لذلك بعد انتهائه من نقد الخطط الثلاث التي سار عليها التقليد العلماني في سياق التحديث، إلى وضع البديل الإسلامي الذي يتوافق مع الدين.

3.2 القراءة الحداثية المبدعة عند طه عبد الرحمن:

لجعل الأمة العربية و الإسلامية تواكب الحداثة، يجب التطلع وإعادة النظر الى واقعها وثقافتها، وذلك من خلال نظر إلى ما تحتويه هذه الأمة من ثقافة إسلامية والتزامات دينية تخصصها عن العالم الغربي، وعليه يكون تحديث داخلي نابع من صميم هذه الأمة، وعلى ضوء هذا قد اتجه العديد إلى أن التحديث لا يكون إلا من تحديث الدين، وكما نظرنا سابقا أن المجال الذي اتبعه المفكرين في تجديد هو المنهج العلماني المناقض لخصوصية الإسلام حصيلة التقليد الغربي، هذا أدى بطفه عبد الرحمن إلى انتقاد

هذه القراءات الحداثية للقرآن، وإعطاء البديل كونه لم يرفض تجديد الدين، بل رفض المنهج الغربي المتبع؛ لأن التجديد بالنسبة له يكون أصيلاً من داخل الثقافة الإسلامية. ويقول في هذا السياق: "لا دخول للمسلمين إلى الحداثة إلا بحصول قراءة جديدة للقرآن الكريم، لأن القرآن كما هو معلوم هو سر وجود الأمة المسلمة وسر صنعها لتاريخ... ومعيار حصول هذا التجديد هو أن تكون هذه القراءة الثانية قادرة على توريث الطاقة الإبداعية في هذا العصر كما ورثتها القراءة المحمدية في عصرها." (الرحمن، 2006، صفحة 193) بمعنى أن التجديد لدى طه عبد الرحمن لا يرفض القراءة الحداثية للدين. بل يدعو إليها مع الحفاظ على منهجها الإسلامي، وعلى هذا الأساس وضع خطته في سبيل تجديد الدين مقابل الخطة المقلدة التي ذكرناها سالفاً.

أ. خطة التأسيس المبدعة:

تختلف عن خطة التأسيس المقلدة في الغاء القدسية، بل تسعى إلى تكريم الإنسان من خلال نقل الآيات القرآنية من وضعها إلهي إلى وضعها البشري، يقول طه عبد الرحمن: "هي عبارة عن نقل الآيات القرآنية من وضعها البشري، إلى وضعها البشري، تكريماً للإنسان." (الرحمن، 2006، صفحة 197) باعتبار القرآن وحي نزل بلغة الإنسان العربي، وخطابه موجه لإنسان وقد اتخذ في تبليغه وتحققه اللساني وضعاً إنسانياً وخرج عن وضعه إلهي، هذا لا يلغي قدسيته بل يبقى المعنى إلهي لا يتغير ولفظ إنساني يمكن تغيير فيه.

هنا طه عبد الرحمن على عكس أركون زاد من صلة الإنسان الروحية بربه بعد أن جعله مؤتمناً على القرآن الكريم، فيكون موافقاً للإرادة الإلهية الذي جعله خليفة في الأرض فيتدير في شؤون العالم، فتزيد صلة الإنسان بخالقه وترتفع مكانته ويحقق كرامته.

التأسيس المبدع يكون أكثر تغلغلاً في الحداثة، لأنه انطلق من علاقة الإنسان بالدين على عكس ما طرحته خطة التقليد، وفي نفس السياق لا يرفض التأسيس المبدع فكرة التحديث بل ركزت على ذلك انطلاقاً من الإنسان والتوفيق بين أبعاده المادية والروحية معاً دون التخلي على أحد الطرفين كما هو ملاحظ سالفاً في خطة التقليد التي اهتمت بالجانب المادي فقط.

كما أن طه عبد الرحمن في طرحه لفكرة علاقة الإنسان مع النص الديني يفتح مجال التأويل الذي بدوره يؤدي للتحديث لكن مع مراعات البعد الإسلامي؛ أي تأويل يكون متوافقا مع الشريعة الإسلامية ومتماشيا مع العصر في نفس الوقت.

ب. خطة التعقيل المبدعة:

يعرفها طه بأقوله: "خطة التعقيل المبدعة هي عبارة عن التعامل مع الآيات القرآنية بكل وسائل النظر والبحث التي توفرها المنهجيات والنظريات الحديثة، توسيعا لنطاق العقل." (الرحمن، 2006، صفحة 199)

بمعنى أن طه يفتح باب التدبر في الآيات القرآنية من خلال العقل لاستلهاام القيم العليا الروحية، وفي هذا سياق وضع ملاحظات حول خطة التعقيل متمثلة في:

أن التعامل العلمي مع الآيات القرآنية لا يضعف التفاعل الديني معها، فاعقل هنا هو عقل الآيات لا عقل الآلات وعقل القيم لا عقل النسب.

أن التعامل العلمي لا يخل بالفعل الحداثي؛ لأن العقل يستعيد نوره من خلال توسعه وتدبره في كشف الأسرار الغيبية، وإدراك التوجهات القيمة للإنسان فيساهم في الارتقاء بالفعل الحداثي بإخراجه من المادية المحضنة التي تعطي سلطة للعقل وحده الى ازدواجيته الروحية والمادية معا.

إن هذا التعامل يوصل إلى تحقيق الابداع الموصول؛ لأن توسيع العقل في النص وتدبره يجعله يكشف عن القيم التي ينبني عليها الوجود الإنساني والتي بدوره تؤدي إلى تتبع سبل التحديث والتجديد.

وبتحقيق هذه الملاحظات يقرر طه أن التعقيل في هذه الخطة يكون أكثر تغلغلا في الحادثة من خطة التعقيل المقلدة، اذا مقتضى التعقيل المبدع يقويه مبدأ التدبر الذي دعت إليه الآيات القرآنية، وبهذا تتم قراءة النص قراءة تفاعلية جدلية تجمع بين الروح والمادة ووضح هذا في قوله: «بحيث يكون افق الادراك الحسي موصولا بأفق الادراك العقلي وافق الادراك العقلي موصولا بأفق الادراك الروحي.» (الرحمن، 2006، صفحة 201).

ج. خطة التأريخ المبدع:

عرفها على انها: "وصل الآيات القرآنية بظروف بيئتها وزمنها وسياقاتها المختلفة، ترسيخا للأخلاق. (الرحمن، روح الحداثة ، 2006، صفحة 202)

ودورها عند طه عبد الرحمن هو الوصل بين الطرف والسياق من دون اضعاف التفاعل الديني، بمعنى الظروف التي وردت فيها الآيات القرآنية هي التحقق الأول للمقاصد والقيم التي تحملها، لذلك كلما تتغير الظروف يمكن أن تتجدد هذه القيم ويتجدد الإيمان بها مع المحافظة على قيمة الآية القرآنية في مختلف الأزمان، بمعنى أن الظروف هي التي تتغير من زمن إلى آخر أما القرآن يبقى على حاله فقط تتغير الأحكام بحسب الطرف والعصر، مع ضرورة ترسيخ الأخلاق التي تعتبر الغاية الأولى منذ البعثة المحمدية، وهي المبدأ الأول لكل فعل حداثي، لذا فإن المماثلة التي وضعتها الخطة المقلدة باطلة؛ لأن النص الديني الخاتم لا تضاهيه النصوص التاريخية الأخرى، فزمنه يمتد إلى ما بعد زمن نزوله، وكل زمن يليه يكون زمنه لذلك يوحى إلى التدبر في الآيات القرآنية لا عن علامات الماضي بل على علامات الحاضر حتى يستمد منها ما يوافق متطلبات الحياة الآتية لأنه نص راهني و رهنيته دائمة.

كما اختص هذا النص بقيم روحية وأخلاقية عليا وتطبيقها يكون سببا في صنع التاريخ، وعليه فلا نظير للنص القرآني في حداثته التاريخية. (الرحمن، 2006، صفحة 203، 204)

في سياق الحديث عن ضرورة التحديث الديني من أجل مواكبة العالم العربي والإسلامي لتطور الحضاري الذي شهده العالم لم يكتفي طه عبد الرحمن بخطة التحديث الديني بل حاول صياغة مشروعه الحداثي الذي يراه سبيلا للخروج من التخلف ومواكبة العصر، وفي نفس الوقت يكون طريقة من أجل تحقيق خطة التحديث والمحافظة على أهم المبادئ التي جاءت بها كعلاقة العقل بادين وأهمية القيم الأخلاقية من أجل صناعة مجتمع حداثي.

3. طبيعة العقلانية عند طه عبد الرحمن:

طه عبد الرحمن أنتقد العقلانية الغربية المجردة مؤكداً بذلك أن العقلانية ليست واحدة، وإنما هناك عقلانيات كثيرة تختلف من حيث درجاتها ورتبتها ومقاصدها، فهي مختلفة بحسب الدور الذي تؤديه، وبحسب الفاعلية الصادرة من العقل (عيد، 2015، صفحة 35)، فهناك العقلانية المجردة من الأخلاق وهذه يشترك فيها الإنسان مع البهيمة، وهناك العقلانية المسددة بالأخلاق وهي التي يختص بها عن دون سواه (الرحمن، 2009، صفحة 14)، حيث يجعل العقل في ثلاث صور، صورة عقل المجرد وهي الصورة الأولى، أما الصورة الثانية هي العقلانية التسديدية، أما الصورة الثالثة فيسميها بعقلانية التأييدية؛ حيث تمثل لنا هذه الصور الثلاث مراتب العقل (النقاري، 2016، صفحة 95) الذي قدم له مفهومها على أنه: "يعتبر العقل مجرد فاعلية وليس ذات قائمة بنفسها أو جوهر مستقلاً، ومقصود من ذلك أن العقل لا يقيم على حال وإنما يتجدد على الدوام ويتقلب بغير أنقطاع" (عيد، 2015، صفحة 30). يذهب إلى أن مرتبة العقلانية المجردة، هي أدنى مرتبة، و يستمد خصائصه من العالم الخارجي متوسطاً بوسائط مادية، مقصي للمعاني الروحية (النقاري، 2016، صفحة 95)، وبهذا فإن العقلانية المجردة لدى طه عبد الرحمن هي: "عبارة عن خاصية الفعل الانساني الذي يقوم في السعي إلى تحقيق مقاصد لا يقين في نفعها بوسائل لا يقين في نجوعها". (الرحمن، 2009، صفحة 75) أما أوسطها العقل المسدد الذي من خلاله يتوجه الإنسان إلى طلب المقاصد الحقة التي نصها الدين، والتي تعود بالفائدة والنفع عن الإنسان وتدفع الضرر عنه، فمن خلال هذا العقل يستطيع الإنسان تجاوز العقلانية المجردة والخروج عنها باتباعه للقيم العملية والتخلق بأخلاق الدين. وقد عرف العقلانية المسددة بشكل خاص: "على أن ها عبارة عن خاصية الفعل الانساني الذي يقوم في السعي إلى تحقيق مقاصد نافعة، بوسائل لا يقين في نجوعها". (الرحمن، 2009، صفحة 75)

كون أن الإنسان العاقل لا يكتفي بمعرفته المقاصد النافعة فقط من الدين، بل يسعى إلى البحث عن وسائل أخرى من أجل تحقيق هذه مقاصد، التي اهتدى إليها، فتجاوز العقلانية المسددة، ويخرج عنها عن طريق الاجتهاد من أجل تتميم معرفته بالمقاصد الدينية، ولن يتحصل عنها إلا بالارتقاء إلى رتبة عليا من العقلانية وهي رتبة العقلانية المؤيدة (النقاري، 2016، صفحة 98)، وعرفها بقوله: "عبارة عن خاصية الفعل الانساني الذي يقوم في طلب تحقيق مقاصد نافعة، بوسائل

ناجعة، ولا يتم هذا الجمع بين نفع المقاصد في ثباتها وشموليتها، وبين نجوع الوسائل في تغييرها وخصوصيتها إلا بدوام الاشتغال بالله والتغلغل فيه." (الرحمن، 2009، صفحة 75،76)

1.3 الأخلاق أساس العقلانية:

حاول طه عبد الرحمن عبر تصنيفه لمراتب العقل من أجل إعادة بناء الانسان معاصر، من خلال إعادة القيمة الخلقية وربط بين العقل والأخلاق خاصة في العقل المؤيد الذي صورته من أرقى العقول، وأن جوهر هذا العقل هو العمل الأخلاقي في أعلى درجاته، حيث يسعى دائما إلى ربط العمل بالنظر، والقول بالفعل والغيب بالعقل والقيم بالعلم، والشاهد بالغائب، من أجل الوصول إلى حقيقة مؤكدة تكون أيقن وأعقل وأكمل تحمل داخلها روح مبادئ الحداثة الإسلامية البديلة وروح الدين معا. (عيد، 2015، صفحة 38)

من خلال هذا يتضح أن طه، بدأ في مشروعه من العقل المؤيد الذي يعد العقل الأمثل من أجل تأسيس حداثة إسلامية، كما أنه اعطى أهمية كبرى للأخلاق على أساس أنها ضرورة ملحة في عملية التجديد، فهي تعد أساسا لتجديد الديني والممارسة الفكرية على أن تكون هذه الأخلاق مستوحاة من صميم الدين الإسلامي، لذلك فإن أول مبدأ يقوم عليه مشروع طه الفلسفي هو المبدأ الأخلاقي، على أنه أول عنصر يجب العودة إليه من طرف الإنسان المعاصر من أجل خروجه من الحالة الإختيانية إلى الحالة الائتمانية لأن هذه الأخلاق هي ما يكون به الإنسان إنسانا، ويجب أن تتجلى هذه الأخلاق في كل فعل من أفعال التي يقوم بها الانسان. كما أن هذه الأخلاق مستمدة من الدين المنزل.

وخلاصة القول أن طه عبد الرحمن من خلال نقده للحداثة الغربية فهو يسعى إلى تأسيس حداثة إسلامية بديلة، وعليه عمل على تأسيس فلسفته الائتمانية، التي تجعل الإنسان مؤتمنا على كل أعماله، كما عمل على وضع مبادئها وأسسها، وجعل من الفقه الائتماني بديلا للفقه الائتماري السائد منذ عصور. حاول من خلاله إعادة الانسان إلى الحالة الأولى، وهي الحالة التي كان يتمسك فيها بالأخلاق، وتذكيره بها، على أنها أمانة، قد أودعها الله تعالى لديه لذلك من واجبه الأخلاقي كإنسان مسلم، أن يحافظ على هذه الأمانة ويصونها.

إذا كان هدف طه عبد الرحمن نقد الحداثة الغربية، وضع الأخلاق كأساس أول للعقل في مشروعه الفلسفي، كما عمل على تنكير الإنسان المسلم بمبادئه الأخلاقية التي ابتعد عنها، فعمل على وضع مبادئ وأحكام من أجل السير وفقها، وبهذا فهو يطرح البديل الذي يعمل فيه على إخراج الإنسان من طريق الخطأ الذي وقع فيه، وإعادة بناءه وفق مبادئ إسلامية، عبر عنها بالفقه الائتماني.

2.3 مفهوم الائتمانية:

يعتبر مصطلح الائتمانية لفظ خاص بطه عبد الرحمن، عبر به على مشروعه الفلسفي الذي يسعى من خلاله إلى إحياء الأمة العربية الإسلامية، التي في نظره ابتعدت عن أصولها بعد خيانتها لما أمناه الله عليه من مبادئ الدين والأخلاق التي نص عليها، وعليه فإن هذا المصطلح عنده مشتق من كلمة الأمانة، ووضح هذا في قوله: "إذا نحن تأملنا لفظ الائتمان انطلاقاً من لفظ الأمانة كما ورد في القرآن الكريم والحديث الشريف." لذلك الائتمانية هي محافظة الإنسان على المبادئ والقيم التي زوده الله بها خلال تواجده في العالم الغيبي والعمل بها في العالم الخارجي، لكن المسلم المعاصر في نظر طه عبد الرحمن خان هذه الأمانة فأسس هذه النظرية محاولاً إخراج الإنسان من حالته الإختيانية إلى الحالة الائتمانية، ويتحقق هذا باتباع مبادئها المتمثلة في مبدأ الشهادة، مبدأ الأمانة، مبدأ التزكية.

أ. مبدأ الشهادة :

استوحاه طه عبد الرحمن من الميثاق الأول للائتمانية الذي شهد فيه الإنسان برؤية خالقه، وحتى تتحقق هذه الشهادة دون خلل لابد أن يكون الناطق بها قد تيقن كل اليقين بمدى ربوبية ووحدانية الله سبحانه و تعالى (الرحمن، 2017، صفحة 48) بمعنى ان هذا المبدأ يعيد الإنسان إلى فطرته، أي يجعله يستعيد جوهره و حقيقته ومعنى جوده (ارحيلة، 2016، صفحة 23)

ب. مبدأ الأمانة :

استوحاه طه عبد الرحمن من الميثاق الثاني الذي أقر فيه الإنسان بحمله للأمانة، والمقصود بالأمانة هنا عبارة عن عبادة الله التي ينهض الإنسان بها في كل أعماله بمحض إرادته، ولا ينسب منها شيء إلى ذاته " وإذا حافظ عليها الإنسان وتمسك بها عادت عليه بالخير فيستعيد هويته المفقودة. أي

أخلاقه التي تخلق عنها جلاء إتباعه وتقليده لنمط العقلانية المجردة الغربية. فمقتضى هذا المبدأ جعل الإنسان متحملاً لمسؤولياته التي يقوم بها بموجب كمال عقله. (ارحيلة، 2016، صفحة 23)
ج. مبدأ التزكية:

استوحاه طه عبد الرحمن من المجال التداولي الإسلامي الانتمائي. والمراد به جعل الإنسان في مقام المجاهدة النفسية التي تحقق له القيم الأخلاقية والمعاني الروحية المنزلة، وقد أسس هذا المبدأ صورتين هما :

-الارتقاء بالأخلاق كأن يكون أكثر رحمة و أكثر مغفرة لكنها لا تتساوى مع الرحمة و المغفرة الإلهية .

-الارتقاء بالعمل وعن هذه الصورة يقول طه عبد الرحمن : " أنه حتى تصلح الجوارح بصلاح القلب، و منهم أن كل إصلاح للعمل هو تصفيته من كل شوائب. بدأ بشائبة الحياة اي عبارة عن تجريد ولا عمل أعظم من العبادة" (الرحمن، 2017، صفحة 56) أي أن التزكية في صورتها الثانية ترفع الإنسان، وتزكيه من الشوائب التي اتبعها أثناء ابتعاده عن دينه.

وفقا لهذه المبادئ يتبين أن الانتمائية تسعى إلى تأسيس قيم أخلاقية من أجل إحياء الدين من جهة، وإعادة الاعتبار إلى الفكر العربي الإسلامي.

انن يسعى طه عبد الرحمن من خلال مشروعه الانتمائي إلى بناء إنسان مؤتمن يسير وفق المنهج الأخلاقي يبعده عن مخاطر العلمانية، ويمكنه من مواكبة التجديد والحدثة في إطار إسلامي محظ.

4. خاتمة:

نخلص في نهاية أن حال الأمة العربية الإسلامية دفع العديد من المفكرين إلى البحث عن أسباب التراجع والتخلف التي تعاني منه اليوم، ووضع أسس جديدة تكون طريقا لتقدم من جديد ومواكبة العالم الغربي في تطوره، فأتجه بعض المحدثين إلى النموذج الغربي كمبدأ لهم على أساس أن التجديد يبدأ من الدين كما فعل الغرب، غير أن هناك تيار مخالف يرى بأن إصلاح الأمة يكون بالعودة إلى الثقافة الإسلامية وإعادة القراءة للنص الديني، فاختلقت الدراسات من مفكر إلى آخر وتعددت المناهج، فكان لمحمد اركون وطه عبد الرحمن رؤى مختلفة بينهما حتى وإن اتفقوا جميعا على ضرورة الإصلاح

الديني إلا أن منطلقات اركون علمانية تسعى إلى جعل العقل هو المسيطر الأمل ورفع القداسة عن النص الديني في حين انطلق طه عبد الرحمن من مبدأ أن تغير يكون من داخل الإسلام . انطلق طه في مشروعه الإصلاحية من الثقافة الإسلامية، من خلال العودة إلى تلك الأسس ودراساتها وقرائنها بما يوافق روح العصر، وفي نفس الوقت لا تعارض ما جاء به النص الديني، فهو يدعو إلى الأنسنة لكن دون المساس بقداسة النص الديني بل رفع من كرامة الإنسان، لأن الله جعله خليفة في الأرض مؤتمناً على مبادئ الدين.

وعليه طه يرفض التقليد والتبعية الغربية، فكل أمة تاريخها ومنهجها الخاص فلا يصح تطبيق المنهج الغربي على المنهج الإسلامي، وكما كانت هناك حادثة غربية لما لا تكون هناك حادثة إسلامية، فوضع أسس إسلامية من أجل إحياء الدين كما أنه أسس لمشروع من أجل تحقيقه على أرض الواقع من خلال إتباع مبادئ الفقه الائتماني.

بمعنى أن طه عبد الرحمن لم يتوقف في نقد الحادثة الغربية ووضع خطة تجديد الدين بل أسس إلى مشروع إسلامي يسعى من خلاله إلى ترسيخ الثقافة الإسلامية والمحافظة عليها مع مر العصور وصنع إنسان معاصر مسلم متخلق ومؤتمن على ما كلفه خالقه به. فكان هدف هو إحياء ثقافة الإسلامية المعاصرة لا ترفض الحادثة ولا تتخلى عن أصالتها.

قائمة المراجع

(s.d.).

ارحيلة، ع. ١. (2016). *الائتمانية والدهرانية بين طه عبد الرحمن وعبد الله العروي*. لبنان: المؤسسة العربية للفكر والابداع.

اركون، م. (1996). *العلمنة والدين الاسلام المسيحية الغرب*. لبنان: دار ساقى.

اركون، م. (2008). *جويلية*. (7دعوي الى انسة القرآن الكريم عند محمد اركون.

الرحمن، ط. ع. (2006). *روح الحادثة*. المغرب: المركز الثقافي العربي.

الرحمن، ط. ع. (2009). *سؤال الاخلاق*. بيروت: المركز الثقافي العربي.

الرحمن، ط. ع. (2017). *دين الحياء من الفقه الائتماني الى الفقه الائتماني، اصول النظر الائتماني*

(Vol. ج). (1ط، Éd.)، بيروت: المؤسسة العربية للفكر والابداع.

- الشيخ , ا. (2016). ديسمبر .(3)الحدثاثة والوعي العربي بين محمد اركون وطه عبد الرحمن .مجلة علمية محكمة تصدر عن كلية العلوم الانسانية والاجتماعية .
- الطلابي , م. ا. (2012). دراسات في اعمال الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن .المغرب :ظهر الميراز .
- النحوي , ع .ع .(2012) .تقويم نظرية الحدثاثة .السعودية :دار النحوي للنشر والتوزيع.
- النقاري , ح .(2016) .منطق تدبير الاختلاف .بيروت :الشبكة العربية للأبحاث والنشر .
- بوزيرة , ع .ا .(s.d.) .اشكالية التأصيل في الفكر العربي الاسلامي المعاصر، طه عبد الرحمن واركون نموذجاً .الجزائر :كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية.
- عيد , م. ا. (2015) .عقلانية الحدثاثة المؤيدة .الاردن :عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.
- موهوب , ا. (2017) .سبتمبر .(320)الاخلاقية من منظور طه عبد الرحمن .مجلة العلوم الانسانية والاجتماعية. 139. p ,